

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

“المعالم السياسية والإدارية والعسكرية وتطوراتها في تلمسان إبان العهد العثماني”

“The Political, administrative and military features and their developments in
Tlemcen during the Ottoman era”

ط.د. محمد بومدين

طالب السنة السادسة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان. الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، مخبر جمع وتوثيق الشعر الشعبي الجزائري من العهد العثماني حتى القرن العشرين.

¹Doctorant: Boumedine Mohammed, Université Abou Bekr Belkaid - Tlemcen - L'Algérie,
Faculty of Human and Social Sciences, Department of History, Laboratory of collecting
and documenting Algerian poetry from the Ottoman period until the twentieth century.
boumedinem999@gmail.com

المؤلف المراسل: محمد بومدين . Boumedine Mohammed . boumedinem999@gmail.com

تاريخ القبول : 2024/04/29

تاريخ الاستلام: 2023/07/27

المخلص:

أصبحت تلمسان زمن العثمانيين إقليمًا سياسيًا ولئن كانت فيه الإدارة العثمانية هي المُسير، إلا أن مظاهر التبعية الحضارية لتلمسان بدار السلطان في مدينة الجزائر، تميزت بالثورات والتمردات بسبب سياسة القسوة الممارسة من جانب قلة من أصحاب السلطة والقرار من العناصر التركية بهذه المدينة أو ببايلك الغرب ككل، بيد لم تكن لتمنع ذلك التكتل بين الطرفين في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، والوقوف جنبًا لجنب ضد أي مساس بسيادة الإسلام والمسلمين في كامل نطاق الإمبراطورية العثمانية، حيث سجلت لنا الوثائق الأرشيفية والنصوص التاريخية المصدرة عن جوانب مَعلمية هامة، تؤرخ لمختلف التغيرات في الهياكل السياسية على وجه التحديد التي كانت في خِصِّها تلمسان تقدم المساعدات العسكرية لإيالة الجزائر أو حتى الباب العالي في حروبه بالمشرق، وتُنعت في الوقت نفسه بـ "المحروسة تلمسان" من قبل العثمانيين، جراء الأطماع المتكررة التي عرفتها هذه المدينة من الأسبان وسلاطين المغرب الأقصى. هذا إلى جانب بلوغها درجة متقدمة من الريادة السياسية والعسكرية في بايلك الغرب، على خلاف ما قيل عنها أنها فقدت أهميتها السياسية والعسكرية، حينما وقفنا على شواهد تاريخية، تفند بالحجة والدليل، واقع تلمسان والمكانة التي احتلتها عند الدايات والبايات الذين جعلوها في بعض الأحيان مقرًا رئيسيًا للبايلك، وقاموا بتحصينها عسكريًا ودفاعيًا لمواجهة التهديدات الخارجية خصوصًا من ناحية الغرب.

الكلمات المفتاحية: تلمسان؛ العهد العثماني؛ الإدارة العثمانية؛ التبعية السياسية؛ الثورات والتمردات؛ القرنين 10هـ/16م - 13هـ/19م.

Abstract:

Tlemcen became a political region at the time of the Ottomans, and although the Ottoman administration was the ruler, the manifestations of civilized dependence on Tlemcen in the House of the Sultan in the city of Algiers were marked by revolutions and rebellions due to the policy of cruelty practiced by a few of the owners of power and decision from the Turkish elements in this city or the West as a whole. However, it would not have prevented that alliance between the two parties in facing internal and external challenges, and standing side by side against any infringement on the sovereignty of Islam and Muslims throughout the entire scope of the Ottoman Empire. Where archival documents and historical source texts recorded for us important landmark aspects, chronicling the various changes in the political structures in particular, in the midst of which Tlemcen was providing military aid to the "Eyalet of Algeria" or even the Sublime Porte in his wars in the East, and at the same time it was described as: "The Mahrousa of Tlemcen" By the Ottomans, as a result of the repeated ambitions that this city knew from the Spaniards and the sultans of Morocco. This is in addition to its attaining an advanced degree of political and military leadership in the Beylik of the West, contrary to what was said about it that it lost its political and military importance, when we stood on historical evidence, refuting with argument and evidence, the reality of Tlemcen and the position it occupied with the beys who sometimes made it a headquarters. to the beylik, and they fortified it militarily and defensively to face external threats, especially from the west.

Keywords: the Tlemcen; the Ottoman era; the Ottoman administration; political affiliation; revolutions and rebellions; The two centuries 10^{AH}/ 16^{AD} - 13^{AH}/ 19^{AD}.

مقدمة:

عقب إلحاق تلمسان الرسمي بدار السلطان من طرف بايلربايات إيالة الجزائر عام 963هـ/ 1555م، بدأت مباشرة ملامح التغييرات السياسية والعسكرية العثمانية تظهر على الهياكل الإدارية لهذه المدينة التي شكلت بؤرة حساسة للباب العالي وبقية الأطراف المتنازعة على الحوض الغربي للمتوسط، لتكون بذلك هذه الجزائر نقطة انطلاق للإدارة العثمانية في جعل تلمسان أولاً وقبل كل شيء مدينة يحرسها العثمانيون، وتخضع لهم.

إن محاولات ضمير العثمانيين بتلمسان دام مدة ثمانية وثلاثين سنة، أي منذ سنة 925هـ/ 1517م، واجه خلالها حكام إيالة وسلاطين الباب العالي الأرمادة الإسبانية وجيوش السعديين والعلويين وانتصروا عليهم في مواقع بحرية وبرية عدة، رُسمت خلالها الحدود بينهم من ناحية الغرب والشمال، وأمست تلمسان على اثر ذلك مدينة تُديرها الحامية العثمانية سياسياً وعسكرياً.

وفي هذا الإطار، أثار قضية التواجد العثماني في تلمسان حبر العديد من المؤرخين والمتخصصين الذين أجمعوا على تراجع مكانة هذه المدينة في العهد العثماني، وربطوا تحليلاتهم واستنتاجاتهم بالفراغ السياسي ونقص المادة المصدرة لمعالجة هذا الموضوع واثرائه. وحتى الساعة لا تزال فيه بعض الأقلام تجزم القول على ذلك الغموض الذي عاشت فيه تلمسان وأجهزتها السياسية والعسكرية على عهد العثمانيين. لذلك تنزل اشكاليتنا الموسومة بـ: "المعالم السياسية والإدارية والعسكرية وتطوراتها في تلمسان إبان العهد العثماني"، التي أترنا بواسطتها إمطة اللثام على واقع مختلف الأوضاع المشار إليها بتلمسان المحروسة ومدى اقتراب أقوال المؤرخين من الصواب أو عدمه، بغية تركيب الحوادث التاريخية وسياقاتها المكانية والزمنية بالاعتماد على جملة من الوثائق والمصادر الأصلية التي عايشنا الحدث في تلمسان العثمانية وشاركت في صناعته، وأثرت وتأثرت به.

ولعل الخوض في مثل هكذا موضوع يتطلب استعمال مناهج تخدم الطرح المُراد الكشف عن خباياه. وفي هذه الورقة البحثية قمنا بتوظيف المنهج السردى التحليلي الذي من شأنه إيصالنا إلى تتبع الكرونولوجيا التاريخية للتطورات التي شهدتها تلمسان في المجالات المذكورة، ناهيك عن إبراز المستجدات التي جدت عليها وكانت عاملاً من عوامل تحولها

إلى منطقة صراع دولي، وعصيان داخلي، لعب فيه كل من الحكام السياسيين، والقادة العسكريين، وسكان مدينة تلمسان أدواراً حاسمة تشكلت فيها نمطية ما ستؤول إليه العلاقات التي سوف تجمع العثمانيين بتلمسان.

1- مدينة تلمسان والجزائر المحمية مع مطلع القرن 10هـ/16م:

إن النقلة الحضارية التي تميزت بها تلمسان في العهد العثماني كانت من دون شك تساير الوضع الجديد للإيالة الجزائرية سياسياً، ومرتبطة بشكل كبير بماضها الثقافي العتيق وتراكماته التاريخية التي بقيت بعض من مظاهرها لا تبتعد عن التاريخ العلمي لمدرسة تلمسان الزيانية. وبالتالي تعتبر هذه التطورات من بين الركائز التي تكونت فيها تلمسان سياسياً، ونمت فيها اجتماعياً، وتأطرت فيها الهياكل الإدارية الخاصة بالمؤسسات الثقافية والدينية والعلمية، فصارت مدينة تختلف كثيراً عن المدينة التي كانت عليه فيما مضى منذ أن أصبح المغرب الأوسط تابعاً بصفة نهائية للإمبراطورية العثمانية سنة 927هـ/ 1519م، زمن السلطان سليم الأول، فأضحت هذه المنطقة تسمى بتسميات مختلفة منها: "وجق جزائر الغرب"⁽¹⁾، "إيالة الجزائر"، "الجزائر المحمية"، واشتهرت أكثر وسط الساحة الشعبية بهذه التسمية الأخيرة، التي كانت بمثابة بطاقة تعريفية للجزائريين خارج وطنهم، وهو ما يظهر بشكل جلي مع التاجر التلمساني أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حجر التلمساني (كان حياً سنة: 1164هـ/ 1756م)، الذي صرح في صيغته الوقفية لفائدة طلبة رواق المغاربة بتاريخ أواسط جمادى الأخيرة من سنة 1164هـ الموافق لـ: 1756م، أنه من المعلمين والتجار والحجاج المعتمرين لببيت الله الحرام، ومن أهالي الجزائر المحمية على حد تعبيره، على ما نوره في الموالي: "(...) الحمد لله وبعد شهد به المعلم الأجل التاجر الأشمل الناسك الأبر المعتمر السيد محمد بن سعيد شهر بن حجر التلمساني القاطن هو بالجزائر المحمية بالله تعالى (...) "⁽²⁾.

2- تحول التسمية من حاضرة تلمسان إلى المحروسة تلمسان:

ولقد كانت مدينة تلمسان من ضمن المدن آنذاك التي ألحقت بدار السلطان (مدينة الجزائر)⁽³⁾، وبانت هي الأخرى تدعى بـ: "المحروسة تلمسان" على عهد العثمانيين⁽⁴⁾، فكثيرين هم علماؤها الذين أوردوا ذكرها في هذه الفترة تحت هذا الاسم،

إن الموقع الاستراتيجي المميز التي احتلته مدينة تلمسان جعلها مطمع الملوك والسلاطين منذ العصور الوسطى، وفي العصور الحديثة بدأت هذه الأطماع تزداد مع السعديين والعلويين، والدلائيين الذين صرح أميرهم أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي (ت: 1091هـ/1680م)، الذي مهد الطريق للدلائيين في هذه المدينة عقب انهزامهم في واقعة "بطن الرمان" من قبل العلويين ونفهم من قبل هؤلاء إلى المدينة المذكورة، حيث اغتم كثيرًا لما وجد نفسه مُهملاً، لم يعبأ به أحد من التلمسانيين، وكأنه لم يكن إلى زمن قريب سلطاناً نافذ الأمر عزيز الجانب، فقال لبعض ذويه: "كنت وجدت في بعض كتب الحدثنان⁽¹⁰⁾ أنني أدخل تلمسان (...)، فظننت أنني أدخلها دخول الملوك (...)، فدخلتها كما ترون"⁽¹¹⁾. والشئ نفسه تقريباً أورده صاحب "البذور الضاوية"، قائلاً: " (...) ندخل مدينة الجدار دخول عز وافتخار فدخلناها دخول ذل واحتقار (...)"⁽¹²⁾. ويضيف أبو القاسم الزياني (ت: 1249هـ/1836)، في "البستان الطريف" عبارة أخرى قد حدثه بها من يثق فيهم من أقرباء محمد الحاج الدلائي، أنه لما اقترب من مدينة تلمسان المحروسة، وشاهد مبانيها وأجنحتها، التفت إلى من حوله من أولاده، وقال لهم: "سبحان الله كنت أرى أن أدخل هذه المدينة مؤيداً منصوراً، فدخلتها مقيداً مهوراً"⁽¹³⁾.

كل ذلك أكده من ناحية أخرى عالم تلمسان "ابن الصائم"، عندما قال: " (...) وخصها الله بكثرة العناب وحب الملوك فلذلك صارت مطمعة للملوك، (...) "⁽¹⁴⁾. ومن هذا الكلام نستنتج أن مدينة تلمسان كانت تزخر بارث طبيعي وحضاري مس كل المجالات⁽¹⁵⁾، نتيجة الموقع الجغرافي الهام من جهة⁽¹⁶⁾، وتعاقب العديد من الحضارات عليها من جهة أخرى⁽¹⁷⁾. وباعتبارها من المدن القريبة جداً من البحر الأبيض المتوسط، شهدت أيضاً تنوع في تركيبها البشرية تبعاً لتنوع الدول التي تأسست فيها، أو ألحقت بها هذه المدينة عبر العصور⁽¹⁸⁾.

4. الأهمية السياسية والإدارية لتلمسان زمن العثمانيين:

إن الخاصية الحضارية هذه التي شهدتها أكبر مدن إيالة الجزائر آنذاك، ولدت على ما يبدو حساسية مُفرطة بين طبقات المجتمع التلمساني، أدت إلى ظهور نوع من الأزمات الاجتماعية بين الأتراك العثمانيين والسكان المحليين، ويشير صاحب "المرآة" في هذا الشأن أنه بما أن مدينة تلمسان كانت

وفي هذا الصدد، نشير إلى ما جاء عند "المقري"، قائلاً: " (...) وباب جواد التي اشار إليها هي إحدى أبواب تلمسان المحروسة (...)"⁽⁵⁾. وهو ما نلاحظه من جديد في مخطوط "متن العقائد، أو الحاشية المسماة بكتاب الدرر الفايق في جمع الحقائق والله تعالى أعلم"، المحفوظ بمكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، بقسم مجاميع العلوم، يحمل رقم: 47494، نسخ سنة 1008هـ الموافق لـ: 1600م⁽⁶⁾، والذي نقرأ في واجهته بعد العنوان "تأليف مجموعة من علماء المحروسة تلمسان"، وبالتالي كانت هذه التسمية منتشرة في ذلك العهد على نطاق واسع، ويمكن جداً أنها كانت تسمية رسمية مثلما كانت عليه "مصر المحروسة"، "تونس المحروسة" ...، وغيرهما من الأقاليم العربية والعجمية التي كانت تحت حكم العثمانيين وحمياتهم في الفترة الحديثة.

كما تشير لنا الوثائق الأرشيفية إلى هذه التسمية التي عُرفت بها نخبة تلمسان حينذاك، ومنهم هذه المرة قاضي التركات بالمحروسة التلمسانية العالم الفقيه السيد الحاج محمد ابن أحمد بن الحاج التلمساني (كان حياً سنة: 1217هـ/1802م)، في وثيقة أرشيفية مؤرخة بتاريخ شهر أوائل شهر رمضان من سنة 1217هـ/1802م، تدور حول نتائج محضر قضائي ترأسه العلامة المذكور، في شكل جلسة قضائية تناولت قضية سرقة بالمدينة المذكورة⁽⁷⁾.

3- أطماع الملوك على تلمسان والتبعية الجغرافية والسياسية لدار السلطان بإيالة الجزائر:

وفي هذا الإطار لم تخرج هذه المدينة عن "وجع الجزائر" المحمي من طرف الإمبراطورية العثمانية، التي كان أقصى امتداداً لها نحو الغرب، مدينة تلمسان التي كانت هي الأخرى نقطة التماس بين الجزائر والمغرب الأقصى، وقامت الإدارة العثمانية رفقة الباب العالي بتحديد الحدود بينها وبين شرق مملكة السعديين وبعدهم العلويين، حيث وضع ذلك عالمها "ابن الصائم"، الذي عاش في فترة حكم الباشوات والأغوات، وأشار إلى تبعية السياسية لدار السلطان كما سماها مملكة العجم وهو يقصد "مملكة الترك"، عندما قال: " (...) وهي الآن انتهاء (مملكة العجم) من جهة المغرب، (...) "⁽⁸⁾. وذلك ما حدده "Aranda" كذلك الذي كان أسيراً في إيالة الجزائر سنة 1050هـ/1642م، وبين أن الحدود الغربية لمدينة تلمسان كانت البداية للمملكة المغربية⁽⁹⁾.

ساحلية صغيرة قليلة الأهمية⁽²⁴⁾. ولم تكن تعني بأية حال "القطر الجزائري" المعروف الآن. فهذا المفهوم لكلمة الجزائر لم يصبح معروفاً إلا منذ القرن العاشر، أي بداية من الحكم العثماني⁽²⁵⁾.

1.5. التطور السياسي:

وثبتت خريطة القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي السياسية أن المغرب العربي كان يعيش في مستنقع من الاضطرابات، سواء بين الإمارات المحلية فيما بينها، أم بين الامبراطوريتين، العثمانية والاسبانية⁽²⁶⁾، فضلاً عن الأطماع التوسعية التي كانت تحدث بين الحين والآخر من طرف السعديين، والعلويين⁽²⁷⁾ خصوصاً الذين هجموا على تلمسان، ولم يتمكنوا في العديد من المرات في الاستيلاء على "حصن المشور" الذي كانت تتحصن فيه الحامية العثمانية، حيث كانت العلاقات بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى تمتاز بالتنافس الشديد منذ المرحلة الأولى من التطور السياسي للإيالة الجزائرية، وبدرجة أقل بعد ذلك، وقد كانت الخلافات في القرن المذكور تدور حول مراقبة تلمسان والمنطقة المحيطة بها. وحاول الزبانيون حكام تلمسان البقاء مستقلين عن كل من الاسبان والأتراك العثمانيين، فكانوا يتحالفون مع أي من الجانبين تكون له اليد الأقوى، ففي سنة 953هـ/1545م، تمكنت إسبانيا من أن يكون لها موطن قدم غير مؤكد في وهران. وفي الوقت ذاته انتقل السعديون من جنوب المغرب الأقصى، الذين كانوا يحكمون في مراكش، إلى ناحية الشمال واستولوا على فاس. فاستدعى التلمسانيون الذين تربط ثقافتهم التقليدية ومذهبهم الديني مع فاس، السعديين لمدينة تلمسان، وقد نتج عن ذلك معركة انتهت بإبعاد السعديين من طرف الأتراك العثمانيين، ومنذ ذلك الوقت امتزج كل غرب الجزائر باستثناء وهران في الإيالة⁽²⁸⁾، وقلت أطماع السعديين أكثر على تلمسان خصوصاً مع السلطان أحمد المنصور السعدي الذي كان مقتنعاً تماماً على ما يظهر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم بقاعدة ترك التُّرك متى تركوكم، وفي هذا الصدد، قال الشيخ "أحمد بابا التميمي" في "ذيل الديباج" عن الأسباب التي دفعت السعديين في عدم رغبة احتلال تلمسان، قائلاً: "وقد أتاه به جودر باشا السلطان أحمد الذهبي السعدي من تنبكت أسيرا موثوقا (...) وطلب يوماً لقاء السلطان، فلما أتى به (...) فقال له الشيخ أحمد: وإذا كان هكذا فما صدك عن غزو تلمسان وهي أقرب إليك منا،

تحت حماية الباب العالي، فإن من المسلم به أن حكامها يكونون دائماً أتراكاً وكذلك نظامها العسكري، وإن العرب - وهو يقصد بهم السكان المحليين - لا يقبلون أبداً في صفوف الميليشيا. ونتيجة هذا التمييز تولد حسب "حمدان خوجة" بين الصنفين في تلمسان المحروسة، فقد استمر حتى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وكثيراً ما كان يؤدي إلى صراع بينهما في وسط المدينة⁽¹⁹⁾.

إن هذه القلاقل التي كانت ذات طابع سياسي أكثر منه اجتماعي، ستؤثر بشكل سلبي على تلمسان، كونها فقدت أهميتها من بين مدن إيالة الجزائر جراء هذا التطاحن على السلطة، وكثيراً ما أدت إلى قيام حروب ضد الأتراك حسب "ستيفن جيمس ويلسن"، لكن دون خرق للتحالف الذي كان قائماً بينها وبين دار السلطان⁽²⁰⁾، لتتحول بذلك مكانة تلمسان السياسية إلى دار السلطان أو كما كانت تسمى "مدينة الجزائر"، وهي ملاحظات لاحظها تقريباً كل المؤرخين، والرحالة، والقناصل من الدول الأوروبية، أمثال قنصل أميركا في الجزائر "وليام شالر" الذي نقل عن الدكتور "شاو" وقال أن مدينة تلمسان رغم أنها كانت عاصمة المملكة سابقاً، فإنها منذ حلول الأتراك في هذا البلد، أصيبت بالإهمال، وذلك على الرغم من موقعها الجغرافي الممتاز⁽²¹⁾.

أما من الجانب العسكري، نجد عند الأسير المجهول وكتابه الذي جاء في صيغة تقارير معنونة بـ: "Voyage Dans Les Etats Barbaresques"، نقول: نجد تقرير 12 سبتمبر 1785م، الخاص بإيالة الجزائر، أكد فيه أن تلمسان المحروسة التي دخلها في التاريخ المذكور كانت تمتلك تحصينات دفاعية قوية، ويحيط بها سور وقلاع عصرية⁽²²⁾، حيث نستكشف من كلامه الأخير أن هذه المدينة تم تجديد بناياتها العسكرية والحضرية من قبل الإدارة العثمانية كما ذكر ذلك "حمدان بن عثمان خوجة"⁽²³⁾.

5- التطورات السياسية والإدارية في تلمسان المحروسة:

لعل ظروف الحاق تلمسان بإيالة الجزائر قد سبقته قبيل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي موجات سياسية وعسكرية أثرت على النشاط الثقافي، بالرغم من أن القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، كان عهد إنتاج ثقافي وفير فإنه على المستوى السياسي كان عهد اضطراب وتدهور. ذلك أن الحدود السياسية للجزائر لم تكن مضبوطة وثابتة، وكلمة الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلا على مدينة

فقال له الذهبي: اقتدينا بقوله صلى الله عليه وسلم "أتركوا الترك ما تركوكم"⁽²⁹⁾.

لكن هذه النتيجة النهائية التي رسمت الحدود بين حكام الجزائر وسلاطين المغرب الأقصى لم تأتي هكذا، فقد سبقها موجات من المعارك بين الجانبين وأطراف أخرى كان فيها الإسبان من ضمن القوى السياسية العالمية وقتذاك التي تريد الظفر بتلمسان، منذ بداية حروب الاسترداد التي كانت من نتائجها احتلال كل الموانئ والمدن الساحلية للمغرب الإسلامي، في وقت كانت فيه الإمبراطورية العثمانية تحمل على عاتقها لواء الإسلام في المشرق وتبحث في توسيع أراضها في الغرب، لتدخل بذلك هي الأخرى في دوامة الصراع الذي ستكون فيه تلمسان بؤرة توتر بين هذه الأطراف طيلة القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

إن الإحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأوسط، وسياسة الظلم والجور التي اتبعها القادة الإسبان في حق السكان، دفعت تلمسان بأن تستنجد هي الأخرى على غرار مدينة الجزائر وتنس بالإخوة عروج وخير الدين⁽³⁰⁾، عن طريق وفد من العلماء والأعيان الذين كتبوا رسالة لعروج يطلبون منه تخليصهم من الملك الزياني أبي حمو الذي تحالف مع الإسبان ضد سلطانهم الشرعي أبو زيان⁽³¹⁾، فلبى لهم الدعوة منذ سنة 924هـ/1516م، وتمكن من الدخول إلى مملكة تلمسان سنة 923هـ/1517م⁽³²⁾، ومنع أهل القلعة (قلعة المشور) من إمداد النصارى بما كانوا يمدونهم به من عتاد وعدة، فضاقت أحوال النصارى بسبب ذلك التضيق من قبل عروج⁽³⁴⁾، فبدأت الدسائس تحاك ضد هذا الأخير من جانب سلطان تلمسان والرايس بورقبة، أحد الرؤساء الذين كانوا يتمتعون بنفوذ قوي بجوار هذه المدينة⁽³⁵⁾، وكان هو الآخر قد لجأ إلى القائد الإسباني "ماركي دي غوماس"⁽³⁶⁾ وطلب منه مساعدة عسكرية لمحاربة الأتراك، مزودة بثلاثة آلاف جندي، كما كلفه بقطع الارتباط بين عروج وأخيه خضر⁽³⁷⁾، وبعد مشادات طويلة بينهم وبين عروج استشهد هذا الأخير⁽³⁸⁾.

ومنذ ذلك الحين، بدأت تلمسان تعرف هجمات عسكرية متتالية من طرف الإسبان، كانت تغذيها التآمرات التي كانت تتم بينهم وبين الحكام الزيانيين، التي تفتن لها السلطان سليم الأول وراسل هؤلاء الحكام يحذرهم من أفعالهم، وينوه بقوة خير الدين⁽³⁹⁾، هذا الأخير الذي دخل في اتصالات سرية مع السلطان الزياني عبد الله المسعودي، الذي تخوف من

الإسبان جراء اغتصابه للحكم من ابن أخيه أبو حمو الثالث، وفي ظل ذلك، جرت مفاوضات بين خير الدين والملك المذكور، تنازل على اثرها الملك الزياني لخير الدين بدفع الضرائب، لكنه سرعان ما تجاهل وعده هذا لخير الدين، وهو ما جعل هذا الأخير يتعاون مع مسعود ابن أبو حمو الثالث، فزوده بقوة عسكرية وأدخله لتلمسان ونصبه عليها، ومع ذلك أعلن مسعود تمردا على العثمانيين ورفض الضريبة التي قدمها للإسبان، فقرر خير الدين غزو تلمسان، واحضار الملك عبد الله الذي استلم الحكم بعد فرار مسعود من قلعة المشور⁽⁴⁰⁾.

ولكن قبل مغادرة خير الدين لتلمسان ترك مجموعة من الأتراك منحهم السلطان عبد الله رواتب عالية، ووافق على اعلان الخطبة وصك العملة باسم السلطان العثماني، وبعد سنة 936هـ/1529م، جمع مسعود قواته وتوجه إلى تلمسان وحاصرها لمدة أشهر، ومع وصول الامدادات من دار السلطان، غلب مسعود على أمره، ووقع أسيرًا بيد العثمانيين، فسجن حتى وفاته⁽⁴¹⁾.

غير أن التدخل الإسباني في تلمسان لم ينته عند ذلك الحد، فقد أكدت الرسائل التي تبودلت بين القائد الإسباني في وهران "الكوديت" والملك الزياني مولاي محمد، على الكثير من العلاقات بين الطرفين، التي لم تكل بالنجاح ضد العثمانيين خاصة خلال سنة 944هـ/1536م⁽⁴²⁾. إلا أنها عرقلت كثيرًا مهمة العثمانيين في بسط نفوذهم النهائي على تلمسان، خاصة بعد وفاة عروج⁽⁴³⁾.

وفي سنة 962هـ/1554م، استسلم الملك الزياني "مولاي الحسن"، وترك حاضرة تلمسان للعثمانيين، ورغم ذلك بقي جماعة من الزيانيين بتلمسان رغم وقوعها في يد العثمانيين رسميًا في هذه السنة⁽⁴⁴⁾، والحاقيها بإيالة الجزائر من طرف البايبراي صالح رايس (ت: 963هـ/1556م)⁽⁴⁵⁾،⁽⁴⁶⁾.

2.5. التطور الإداري:

لقد أصبحت تلمسان تابعة لبايك الغرب⁽⁴⁷⁾ الجزائري أو الحكومة الغربية كما سماها "ستيفن جيمس ويلسن"⁽⁴⁸⁾، بداية من سنة 563هـ/1555م، بعد انقلاب موازين القوى الدولية لصالح العثمانيين في المغرب الأوسط والأدنى، بعد ردهم لحملة الملك الإسباني شاركان سنة 949هـ/1541م⁽⁴⁹⁾، وكان باييك الغرب هو ثاني البايليكات تأسيسًا، حيث قال "ابن الزهار": "أما عن التنظيم السياسي الذي كان للأتراك بأرض الجزائر ثلاثة بايات: باي وهران وباي قسنطينة،

البايات والقياد هو تعيينهم من قبل الداى مباشرة، ويجب أن يكون هؤلاء من أصل تركي، ووظيفتهم غير وراثية، تحرسهم فرق الإنكشارية⁽⁵⁹⁾، ويعينه "قايد آغا" الذي كان يسير الدواير وهو من أعيانهم، وله دائرة حكم كانت تشمل بني عامر، وجميع الجهة الغربية من بني وعزان، أولاد الميمون، سائر الحشم...، ما عدا تلمسان وأحوازا⁽⁶⁰⁾.

ولقد كان الباى المذكور يختلف عن "باشا باي" حاكم "البابليك"، وهذا الشأن وضح "الشريف الزهار" اختصاصات كل واحد منهم، فقال: "أعلم أن الباى عند أتراك الجزائر لقب لمن ولى إيالة تلمسان أو تيطري أو قسنطينة فقط، والباشا لقب للذي يولي البايات ولذا يقال له باشا باي"⁽⁶¹⁾. ومن كلامه نستنتج أن تلمسان كانت عاصمة في فترات معينة لبابليك الغرب، وهو ما أشار له "De Tassy" عندما قال أن باي الغرب كان يقطن في تلمسان، كون مدينة وهران كانت محتلة من طرف الإسبان، وبقيت مقراً للباي حتى غاية تحرير وهران الأول⁽⁶²⁾.

ونلاحظ من جهة أخرى أن المحروسة تلمسان قد تميزت بصيغة الإستقلالية الإسمية على مستوى الإدارة السياسية نقرأها في اللوحة التأسيسية المحفوظة بمتحف أحمد زبانة بوهرا، والمؤرخة سنة 1137هـ/1724م، والتي تشير أن الباى مصطفى بوشلاغم كان يلقب ببياى الناحية الغربية وتلمسان⁽⁶³⁾ وهو ما يدفعنا للقول أن هذه المدينة كانت تُسير في بعض فترات التاريخ العثماني مباشرة من قبل باي الغرب الجزائري، ولم يعين عليها بايّا ولا قائداً نتيجة للصراعات والثورات المتكررة ضد هؤلاء الذين كانوا يُوظفون إما من طرف الباى المذكور أو الداى.

وعلى ضوء ذلك، تميزت الإدارة العثمانية في تلمسان بالصرامة في تطبيق القوانين، ومن جهة أخرى الإعتماد بشكل كلي على تعاليم الشرع الإسلامي فيما يتعلق بالقضاء، والفصل في المنازعات، وتطبيق الحكم الشرعي في قضايا السرقة واختلاس أموال العامة، والوثائق القضائية الأرشيفية تحتوي على نماذج من هذه العقوبات التي كان يتولى مهمتها رجال المخزن. ففي الوثيقة رقم 38، المصنفة ضمن المجموعة: 2316، المؤرخة سنة 1225هـ/1810م، بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، نستنتج الدرجة التي بلغها فرض القانون من جانب العثمانيين والتقييد بالصرامة في تطبيقه في إرجاع تركة المرحوم السيد المختار التلمساني⁽⁶⁴⁾.

وباي المدينة، وهم مرتبون على حسب فتوحات الأتراك الأوائل. فأول فتوحاتهم كان ناحية تيطري (...) ثم لما فتحوا ناحية الغرب، تلمسان وأحوازا، ومعسكر ونواحيها، (...)، جعلوا في معسكر بايا يسمونه باي الغرب (...). وأخيرا فتحوا الناحية الشرقية (...)»⁽⁵⁰⁾. وأضحت هذه المدينة منذ التاريخ المذكور، يُعين عليها قائد عثماني لتسيير الأوضاع العامة بها، ومن خلال ما أجمع عليه المتخصصون في التاريخ الثقافي لإيالة الجزائر، فقد فقدت هذه المدينة صدارتها السياسية التي كانت عليها زمن الدولة الزيانية، وهُمشت، وعقب الحاقها بإيالة الجزائر، هاجر الكثير من سكانها إلى المغرب الأقصى تعبيرا منهم عن رفضهم للأتراك العثمانيين⁽⁵¹⁾.

وعلى العكس من ذلك، توصلنا إلى حقائق تاريخية بينت لنا أهمية هذه المدينة بالنسبة للعثمانيين، حيث أفادتنا النصوص المصدرة أنه منذ هذا اللاحق التاريخي، بدأت ملامح التغيير تظهر في تلمسان التي أصبحت تدعى بـ "المحروسة تلمسان"، أي المحروسة من قبل العثمانيين الذي وضعوا جهاز إداري يمزج بين الصبغة العسكرية والسياسية يُدير هذه المدينة، يقع بالقرب من "باب الخميس" أين أقاموا إدارة "باب السفير" الذي كان أول موضع وحي يسكنه الأتراك العثمانيين، وبقي ذلك الموضع السياسي رفقة قصر المشور⁽⁵²⁾ تتعاقب عليهما السلطة حتى الإحتلال الفرنسي للجزائر⁽⁵³⁾، التي كان يترأسها حسب بعض كتابات القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي "الباي"⁽⁵⁴⁾، وحسب كتابات القرون السابقة "القائد"⁽⁵⁵⁾. هذا الأخير الذي كان يُعين على رأس كل "وطن" الذي يطلق هو الآخر على كل مدينة، وهو ما كان مع تلمسان التي كان يرأسها القائد أو "قائد القياد" أو "الخليفة" الذي يشرف على الأغاليكات (القياد)، ليصبح كل هذا تحت مسؤولية "الباي"⁽⁵⁶⁾. فضلاً على أنه كان يتحكم في قبائل الرعية في تلمسان، إدارياً وسياسياً، قائدان، قائد قلب المدينة، وقائد الجبل، أما الأول فكانت تحت سلطته قبائل بني وعزان، الغسول، بني سنوس، بني ورنيد، ولهافة...، أما الثاني فسلطته تمتد إلى مناطق أولاد رياح، أولاد رياش، بني صميل، وغيرها...⁽⁵⁷⁾.

وقد كان كثير من قياد المحروسة تلمسان يتولون قيادة البابليك، حيث فصل في ذلك "المزاري"، وقال أنه يمكن من يتولى قيادة تلمسان أن يتولى بايا⁽⁵⁸⁾. والملاحظ على هؤلاء

	التلمساني	1183هـ/1775م	
03	خليـل التلمساني	(كانت حية سنة 1183هـ/1775م)	مالطة

المصدر: (الوثيقة رقم: 279-278، المؤرخة ما بين سنوات 1170هـ/1762م حتى 1185هـ/1777م، الدفتر الجبائي رقم: 2144، الأرشيف الوطني التونسي).

أما الوثيقة رقم: 280، المؤرخة ما بين سنوات 1186هـ/1778م حتى 1191هـ/1783م، في الدفتر الجبائي رقم: 2144، بالأرشيف الوطني التونسي، فتؤرخ لنا لأسماء تلمسانيين أسروا كذلك في ممالك إيطاليا، نذكر منهم في الجدول الموالي: الجدول رقم 02: مبيان يوضح أسماء أسرى تلمسانيين أسروا في ممالك إيطالية إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

الرقم	الإسم الكامل	تاريخ الأسر/ (كان حيا سنة)	مكان الأسر
01	محمد بن سليمان التلمساني	(كان حيا سنة 1188هـ/1780م)	مالطة
02	(؟) التلمساني	(كان حيا سنة 1189هـ/1781م)	مالطة
03	علي الفرصادق التلمساني	(كان حيا سنة 1189هـ/1781م)	؟

المصدر: (الوثيقة رقم: 280، المؤرخة ما بين سنوات 1186هـ/1778م حتى 1191هـ/1783م، الدفتر الجبائي رقم: 2144، الأرشيف الوطني التونسي).

إن هذا الوضع الأمني القلق، حتم على تلمسان أن تنساق إلى توحيد الجهود مع دار السلطان بمدينة الجزائر، وتسير في علاقاتها العسكرية بالمرونة عمومًا، وتخضع لما اعتادت عليه الخلافة العثمانية وبقية ولاياتها الإسلامية على أساس التعاون العسكري ضد الكفار في الشرق والغرب؛ حيث تؤكد العديد من الوثائق الأرشيفية على تلك العاطفة الجهادية التي جمعت بين مقر الخلافة بالأستانة وإيالة الجزائر مثلاً، التي أمدت هذه الأخيرة العثمانيين بالعدة والعتاد طيلة الفترة العثمانية، بل وقد قفزت تلك العلاقات في الكثير من الأحيان إلى قيام الخلافة العثمانية بالتعبئة العسكرية التي كان فيها قواد تلمسان من الأتراك العثمانيين في مقدمة العساكر الذين يتم استدعائهم للمشاركة في الحروب التي خاضتها الخلافة الإسلامية في المشرق؛ على ما وقفنا عليه في وثيقة أرشيفية مندرجة ضمن سلسلة الدفاتر المهمة، (مهمة دفتر)، حكم: 292، 293، بالوزارة الأولى التركية بإستنبول، أظهرت ذلك

كما اعتمدت الإدارة العثمانية في تلمسان النظم الإدارية نفسها المعمول بها في الإيالة، مثل "الباش سيار" (صاحب البريد) الذين يقوم بإيصال البريد إلى أصحابه، وهو ما وقفنا عليه في وثيقة أرشيفية تحت رقم: 279-278، المؤرخة ما بين سنوات 1170هـ/1762م حتى 1185هـ/1777م، الدفتر الجبائي رقم: 2144، الأرشيف الوطني التونسي، تبين مهنة البريد لأحد المجهولين من التلمسانيين المدعو سيار الشيخ بوسماحة (كان حيا سنة 1185هـ/1777م)، هذا الأخير على ما يظهر قد بعث المذكور إلى تونس لمهمة تتعلق بالتجارة أو ما شابه، وهما حسب الوثيقة من نواحي تلمسان⁽⁶⁵⁾.

125. الوضع العسكري:

مما لا شك فيه، هو أن الفترة الحديثة قد اتسمت بانعدام الأمن وكثرة القراصنة في الحوض الغربي للمتوسط، مثل قراصنة القديس يوحنا الذين كانوا يشكلون هاجس أمني خطير على الرحالة والمسافرين والتجار اتجاه المشرق، وقد كانت تلك الشحناء وليدة الصراع الذي كان قائما آنذاك بين الإمبراطوريتين العثمانية والإسبانية، هذه الأخيرة التي كان مقرها الديني الممثل في "المذهب الكاثوليكي" في مدينة الفاتيكان بروما الإيطالية. هذا الصراع الديني بين الطرفين كان يمتد بطبيعة الحال إلى قطع الطريق على المسلمين بجزيرة مالطة، وأمسى هذا التهديد يمس كل الأطياف السكانية لمدين المغرب العربي بما فيها مدينة تلمسان التي مكنتنا بعض الوثائق الأرشيفية من التعرف أيضا على ظاهرة أمنية كانت هي الأخرى من بين العوامل التي هددت المجتمع التلمساني في الفترة العثمانية، وهي الأسر، الذي راح ضحيته عدد كبير من التلمسانيين على اختلاف مكانهم الاجتماعية، وهو ما ترجمه الوثيقة المصنفة تحت رقم: 279-278، المؤرخة ما بين سنوات 1170هـ/1762م حتى 1185هـ/1777م، الدفتر الجبائي رقم: 2144، الأرشيف الوطني التونسي. وفي الجول الموالي تفصيل لأسماء هؤلاء الأسرى وأماكن أسرهم:

الجدول رقم 01: مبيان يوضح أسماء أسرى تلمسانيين أسروا في ممالك إيطالية ومدن إسبانية إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

الرقم	الإسم الكامل	تاريخ الأسر/ (كان حيا سنة)	مكان الأسر
01	فاطمة التلمسانية	(كانت حية سنة 1183هـ/1775م)	اسبانيا
02	رمضان	(كانت حية سنة 1183هـ/1775م)	؟

لقد كان أمراء المغرب الأقصى يريدون ضم أجزاء من غرب المغرب الأوسط كما سبقت الإشارة إليه زمن السعديين. إلا أنهم فشلوا، في ظل وجود العثمانيين الذين صدوا هجماتهم، رغم الاضطرابات السياسية الداخلية التي كانت تحدث في مقر الحكم في دار السلطان⁽⁷¹⁾، ولكن في الكثير من الأحيان قد استطاع بعض الملوك العلويين هزم سكان هذه المدينة وارغامهم على الاختباء خلف أسوار المدينة، مثلما فعل ذلك محمد الشريف (ت: 1075هـ/1664م)، الذي انتصر على التلمسانيين ورجع لبلاده محملاً بالأسلاب⁽⁷²⁾.

ليعيد فعلته هذه سنة 1066هـ/1658م، لكن العثمانيين هذه المرة كانوا له بالمرصاد، حيث وقعت تحت أسوار المدينة معركة طاحنة بقيادة قائد المحروسة تلمسان "جلي بك"⁽⁷³⁾ فقد خلالها المغامر المغربي من ألف إلى ألفين ومائتين من رجاله، وعلى أثرها جنح إلى المهادنة ورجع إلى سجلماسة⁽⁷⁴⁾.

وأثناء تولي السلطان العلوي الرشيد (ت: 1082هـ/1672م) الحكم، قام بمهاجمة الزاوية الدلائية في 1076هـ/1668م، وأبعد علماؤها وقادتها إلى المحروسة تلمسان، بغرض تحقيق مشروع أخيه في الاستلاء على غرب إيالة الجزائر، ولم تمض بضعة أشهر على التواجد الدلائية بهذه المدينة حتى نشبت ثورة خطيرة ضد الإدارة العثمانية في تلمسان دامت سنين عدة⁽⁷⁵⁾. ففي سنة 1077هـ/1669م، كان العثمانيون قد بدأوا حصار وهران لطرد الإسبان منها، إلا أنهم تفاجأوا بالثورة في تلمسان، مما اضطرهم إلى الانسحاب إلى دار السلطان، وفي السنة التالية أي 1078هـ/1670م، وجه الأغا محلة أخرى لإخماد الثورة، ومثل سابقتها تكبدت خسائر دون أن تحقق الهدف المرجو، ولم تتمكن الإدارة العثمانية من قمع هذه الثورة إلا في فبراير 1083هـ/1675م، وعندما أخذوا المدينة نكلوا بأهلها أشد التنكيل، وإثر هذه الحادثة، ألف سعيد المنداسي قصيدته المشهورة "الإعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك بتلمسان"⁽⁷⁶⁾.

وفيما يخص أطماع ملوك المغرب الأقصى فقد تواصلت مع السلطان اسماعيل العلوي (ت: 1139هـ/1727م)، الذي حاصر المحروسة تلمسان وعسكر قرب "باب كشوطة"⁽⁷⁷⁾⁻⁽⁷⁸⁾، في الجهة الغربية في الطريق المؤدي إلى المنصورة، وتمكن من دخول الناحية الغربية من إيالة حتى بلغ منطقة شلف، ثم عاد إلى فاس بعد فشله من الوصول إلى دار السلطان⁽⁷⁹⁾.

التلاحم الجهادي الذي كان حاصلاً وقتذاك، في شكل رسالة تتضمن الإبلاغ عن قيام قائد تلمسان التركي "بارمقسر مصطفى" بضرورة التوجه إلى إستنبول في 6 مارس 990هـ/1582م، لفك الحصار المفروض من قبل الكفار على قلعة "أيامورة" (ينظر الملحق رقم: 01)⁽⁶⁶⁾.

وفي الكثير من المرات كانت القيادة العسكرية لتلمسان زمن البايبريات تمتد يد العون العسكري للباب العالي ولإدارة العثمانية في إيالة الجزائر، خاصة في معاركها ضد الجيران من حكام المغرب الأقصى، أو الإسبان، أو البرتغاليين وبعض حكام مدينة فاس المتعاونين مع الإسبان، بمثل ما حدث قبيل موقعة وادي المخازن سنة 986هـ/1578م، عندما تأهب حاكم إيالة رمضان باشا بأمر من السلطان العثماني "مراد الثالث" ومر على المحروسة تلمسان أثناء عودته من فاس، وقام بتعبئة سكانها وقواتها العسكرية "النوبات"⁽⁶⁷⁾ وتحضيرهم للمعركة رفقة الملك السعدي عبد الملك ضد ابن أخيه المتوكل⁽⁶⁸⁾.

لكن هذه الوضعية لم تكن قبل ذلك التاريخ سائرة المفعول على ما يبدو، ففي السنوات السابقة قد لبس حكام هذه المدينة ثوب العصيان على أوامر الباب العالي، وذلك يظهر جيداً مع العصيان والمؤامرة التي قام بها قائد المحروسة تلمسان "يوسف" رفقة أغا الانكشارية "مصطفى أرناؤوط" الذان قاما سنة 965هـ/1557م، بتدبير مؤامرة لاغتيال الباشا المرسل من الأستانة "تكلي"، وتفاصيل هذه الحادثة ترجع لرفض أعضاء الديوان تعيين هذا الحاكم، حيث كانوا قد عينوا قبله وبعد وفاة صالح رايس مباشرة "حسن قورصو"، وقد كان يوسف هذا معتوقاً من قبل البايبري الأخير⁽⁶⁹⁾.

زيادة على ذلك، فقد تدخلت القوات العثمانية مراراً في رسم الحدود بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى، حيث وقع ذلك في عهد مبكر من الوجود العثماني في الجزائر، ففي سنة 992هـ/1584م، حدثت أزمة "فغيغ" قرب المحروسة تلمسان التي كانت تابعة للجزائر والإدارة العثمانية تأخذ الضرائب منها، إلا أن جاء أحمد المنصور السعدي وأرسل شخصاً إليها ليحكم باسم السعديين، فغضب "حسن باشا" على تصرفه، وقال المنصور أن إستنبول هي من قدمتها له، فراسل حسب باشا الباب العالي وأجاب هذا الأخير بالعكس، فأرسلت للمنصور رسالة تأمره بالتزام حدوده⁽⁷⁰⁾.

إن الشيء اللافت للانتباه فيما يتعلق بالتواجد العثماني في تلمسان، هو أنه رغم مساعي الأجهزة السياسية والعسكرية العثمانية الدؤوبة في حماية هذه المنطقة وحراستها، إلا أن أغلب القادة العثمانيين الذين يُسيرونها كانوا يُعرفون بالظلم والاستيلاء على أموال العامة، وامتد بهم جشعهم إلى أخذ ضريبة من المال على شكل "مكوس" من قافلة الحجاج التي كانت تمر على هذه المدينة كل سنة، حيث عبر عن ذلك الرحالة "المكناسي" أثناء حلوله عليها على ما يظهر عام 1192هـ/1784م، قائلاً: "(...) ومن قلة حياء حاكم البلد وكثرة حرصه وإذاية العامة، أن كل من يمر به حجاج بيت الله يقبض منهم شيئاً معيناً على أمتعتهم وحوائبهم (...)".⁽⁸⁷⁾ هذا ما دفع العام والخاص من سكان هذه المدينة إلى إعلان العصيان والتمرد، والتي تطورت في بعض الأحيان إلى القيام بالثورات، ومن بينها، نذكر نماذج في الجدول الموالي:

الجدول رقم 01: مبيان كرونولوجي لأهم التمردات والثورات التي اندلعت في تلمسان المحروسة.

الرقم	الثورة	السنة	القائد
01	ثورة الدوار	980هـ/1572م	مجهول
02	/	1035هـ/1627م	مجهول
03	ثورة السوسي	1038هـ/1629م	السوسي
04	/	1078هـ/1670م	مجهول
05	/	1083هـ/1675م	مجهول
06	ثورة الكراغلة	1146هـ/1738م	مجهول
07	ثورة تلمسان	1160هـ/1752م	مجهول

(المراجع: من إعداد الباحث).

ولم تتوقف هذه الفتن والثورات حتى مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. ففي سنة 1235هـ/1827م، تمردت بعض القبائل في بايلك الغرب الجزائري بقيادة محمد التيجاني، وفي هذه المعارك قتل محمد، فتشتت قواته وتراجع مؤيديه إلى البوادي، وكانت المناطق المجاورة لتلمسان خلال السنة الماضية - أي سنة 1234هـ/1826م -، تعج بالمشاكل، بمثل ما كان عليه "حسن بك" في انشغاله بحرب سيدي محمد، حتى سحق قبيلة أنقاد.⁽⁸⁸⁾

وفي ظل هذه التهديدات، أقامت الإدارة العثمانية حاميات عسكرية وأبراج مراقبة في الجهة الغربية الجنوبية لتلمسان، مثل مركز سبدو⁽⁸⁰⁾ العسكري حيث كانت هذه القرية قاعدة متقدمة للحامية العثمانية، وتمثل إحدى القبائل المخزنية، ونظراً لموقعها الاستراتيجي، كون تلمسان بلدة كبيرة، وبوابة نحو الصحراء، كانت دوماً هدفاً للأطماع حيث أن السيطرة عليها هي سيطرة على الطرق التي تربط الشمال الغربي للجزائر بالجنوب الغربي كله، ويسيطر على البوابة الأمامية للجنوب الصحراوي⁽⁸¹⁾. ولكونها محطة تجارية هامة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، ولكي تحافظ الإدارة العثمانية على أمن الطرقات، كانت تقيم بعض المراكز العسكرية على الطرق التي تربط تلمسان ووهران ومدينة الجزائر، لأهميتها البالغة في الحركة التجارية، تُعرف بـ: "القوناق" وهي عبارة عن خيام تقيم فيه الحاميات المخزنية تكلف بحراسة الطرق.⁽⁸²⁾

ومن بين هذه الدفاعات العسكرية نذكر "باب كشوطة" في الطريق المؤدي إلى المنصورة نحو الغرب، والذي كان يدعى في العهد العثماني "باب الجفيلة" أي "باب الأرجوحة"، وأطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى الجناة الذين وقعوا ضحايا عدالة الحكام الأتراك، وهو المكان الذي كثرت فيه الإعدامات شتقاً، كما كان الباب محصناً ببنايين ترابط فيه الحواشد العسكرية العثمانية⁽⁸³⁾.

وكان هناك أيضاً بالجهة الجنوبية الغربية من مدينة تلمسان "برج الصفراني" المحاذي لباب الحديد، لا تزال آثار المصطبتان الجانبيتين اللتين كانتا مخصصتين للمدفعية التركية العسكرية قائمة حتى اليوم⁽⁸⁴⁾.

إن تشييد العثمانيين لهذه المعالم العسكرية كان نتيجة هذا التطاحن الدولي والإقليمي، الذي اغتنمه المتآمرون من الداخل والخارج، فسادت الفوضى، وامتنعت الكثير من القبائل عن دفع الضرائب، وأعلنت في هذا الإطار تلمسان العصيان، وقامت الثورات عقب كل حملة عسكرية من جانب سلاطين المغرب الأقصى، تمكنت المحلة العثمانية لحسن الحظ من إخمادها، وقطعت رؤوس المرابطين الذين كانوا يتزعمون هذه التمردات⁽⁸⁵⁾، إلا أنها كانت تعود خائبة إلى دار السلطان كونها لم تحصل سوى النزر اليسير من الضرائب المقررة للبايلك⁽⁸⁶⁾.

6. الثورات والتمردات في تلمسان خلال العهد العثماني:

والغرب. وهي التسمية المركبة من كلمتين: تلمسان/المحروسة، والتي كانت تحصيل حاصل لمحاولات اقتناص هذه المدينة من قبل الباب العالي.

انفردت المحروسة تلمسان بأجهزة إدارية عثمانية استثنائية، كشفت لنا طبيعة العلاقة بين سكانها والإدارة العثمانية، والتي كانت من زاوية ذات صبغة تعاونية في الأزمات الدولية والمحلية، وتبرز مدى الاهتمام التي حظيت به هذه المدينة، سياسياً وعسكرياً، وفي زاوية أخرى أبانت في أغلب الأوقات على ذلك العداء والتوتر خصوصاً بين الكراغلة والأتراك، ليقفز ذلك الوضع المضطرب إلى نشوب الثورات، وما انجر عنها من انعكاسات، أثرت بشكل قوي على مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى الدينية...

عُدَّت تلمسان المحروسة محمية عسكرية مُتقدمة للعثمانيين اتجاه الغرب، بسبب التحرشات التي كانت تقع بصورة متتالية من جانب سلاطين المغرب الأقصى، ما حتم على العثمانيين أن أقاموا بهذه المنطقة حاميات عسكرية على طول الحدود المغربية الجزائرية، وكثفوا من التحصينات المخزنية لردع أي عدو مرتقب من هذه الجهة بالذات.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم شحاتة (حسن)، أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510 - 1947)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981.
- 2- ابن اشهبو (عبد الحميد)، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مطبعة الجيش الشعبية، الجزائر، (د.ت).
- 3- بوخالفة (عزي)، شواهد الإحسان على مآثر المحروسة تلمسان، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 4- بلجوزي (بوعبد الله)، "المنشآت المعمارية للباي مصطفى بوشلاغم بباليك الغرب الجزائري"، مجلة آثار، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات والأبحاث في الآثار، العدد 15، 2018.
- 5- بوسماحة (عبد الحميد)، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، منشورات الرياض، 2011.
- 6- بومدين (محمد)، "رؤية تاريخية في أبعاد الامتداد الدلائي وتجلياته في تلمسان العثمانية خلال القرنين 11هـ/17م و12هـ/18م"، المجلة التاريخية المغربية، مجلة دولية تصدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، السنة الثامنة والأربعون. العدد 181، أفريل/ نيسان 2021.

كما تمكن الباي المذكور من الانتصار على الولهاصيين غرب المحروسة تلمسان⁽⁸⁹⁾، على اثر الثورة التي قامت في "ولهاصة" في خريف عام 1236هـ/1828م، لما رفضت قبائلها في شمال تلمسان دفع الضريبة المفروضة عليهم للإدارة العثمانية، بتحريض من عامل وجدة أبي العلي إدريس، فأرسل إليهم الباي حسن حامية لاستخلاصها منهم بالقوة، إلا أن الحامية العثمانية تعرضت لكمين، فأبيدت عن آخرها، فاضطر القاضي محمد بن سعد التلمساني (ت: 1264هـ/1847م)، للرحيل بنفسه لتهدئة الأوضاع، ولا شك في أن ذلك كان بإيعاز من العثمانيين، الذين كلفوه بهذه المهمة لمكانته في تلك المنطقة، فهو ينتمي لبيت اليبدي من البيوتات العلمية البارزة في تلمسان، غير أنه اهتم بالتعاطف مع السكان، فخشى على نفسه، وعجل بالفرار إلى المغرب الأقصى أين استقبله السلطان عبد الرحمن بن هشام، وهو ما يؤكد صلته القوية به قبل هذا التاريخ، فأقام هناك إلى غاية قدوم الولي المغربي الجديد إلى تلمسان بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر⁽⁹⁰⁾.

الخاتمة:

أثناء عرضنا للمعالم السياسية والإدارية والعسكرية وتطوراتها في تلمسان إبان العهد العثماني، والتي مست الأسس العامة التي أرسيت من خلالها الإدارة العثمانية تواجدها بالمحروسة تلمسان، قادتنا هذه المتغيرات إلى الانتباه، على أساس الاستنتاج والاستنباط، على ذلك الاتصال الوثيق بين المثلث الحيوي الممثل في الإمبراطورية العثمانية، دار السلطان بمدينة الجزائر، مدينة تلمسان إحدى مدن الحكومة الغربية. بما يمكننا أن نقول:

- إذا كانت مدينة تلمسان على عهد العثمانيين شكلت كياناً سياسياً وإدارياً مستقلاً في بعض فترات التاريخ العثماني بها، إلا أنه لم يكن في أي حال من الأحوال قطيعة بينها وبين دار السلطان بشكل خاص، والباب العالي بشكل عام، على ما وقفنا عليه من قرائن تاريخية تثبت حقيقة العلاقة العميقة بين الأطراف الثلاث، والتي فعلاً أكثر الدين الإسلامي، والمصير المشترك، والنطاق الجغرافي الواحد الذي كانت فيه تلمسان امتداداً للإمبراطورية العثمانية نحو الغرب في نقطة التماس مع المملكة المغربية.

- برهنت الوثائق الأرشيفية والمخطوطات الأصيلية والنصوص المصدرة الأجنبية، وأجمعت، على التسمية التاريخية التي تترجم دور العثمانيين في حماية الإسلام والمسلمين في الشرق

7. بوفلاقة (سعد)، أوراق تلمسانية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2011.
8. التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ ت: 1041هـ/ 1631م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (ج2)، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1980.
9. التلمساني (أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي كان حيا سنة 1066هـ/ 1656م)، مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: 4601.
10. الحوات (أبو الربيع سليمان ت: 1233هـ/ 1817م)، مخطوط: البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلانية، مكتبة الطالب بالرباط، يحمل رمز: MS ARAB 433، (غير مصنف)، عدد الأوراق: 318.
11. خوجة (حمدان بن عثمان ت: 1255هـ/ 1840م)، المرأة، تقديم وتعليق وتحقيق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.
12. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت: 808هـ/ 1403م)، المقدمة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، 2007.
13. ذيب (عيسى)، مدينة تلمسان كمركز من المراكز الحضارية، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، (د.ت).
14. الزجاي (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتح التلمساني الحفيد كان حيا سنة 1284هـ/ 1867م)، مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D9307، الورقة: أ/ 43.
15. الزباني (أبو عبد الله محمد بن يوسف كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعدي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
16. الزباني (أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم ت: 1249هـ/ 1836)، البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق: الزاوية رشيد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. المغرب، 1992.
17. الزهار (أبو العباس أحمد سيدي محمود الشريف ت: 1289هـ/ 1872م)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1168هـ - 1246م/ 1754م - 1830م، تقديم: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
18. قداش (محفوظ)، الجزائر في العهد العثماني، ترجمة: محمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2016.
19. القاسمي (عبد المنعم الحسني)، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.
20. سبنسر (وليام)، الجزائر في عهد ريااس البحر، تعريب وتقديم: زبادية عبد القادر، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.
21. سماتي (محفوظ)، الأمة الجزائرية: نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني وآخرون، منشورات دار حلب، سوريا، 2007.
22. السعيدوني (ناصر الدين)، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
23. شوفالييه (كورين)، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 - 1541)، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
24. بن صحراوي (كمال)، "التنظيم الإداري والعسكري ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة العبر، دورية علمية دولية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد 01، 2018.
25. الصيداوي يوسف، الكفاف، دار الفكر، لبنان، 1999.
26. ويلسن (ستيفن جيمس)، الأسرى الأمريكيين في الجزائر 1795م - 1796م، ترجمة: علي تابلت، منشورات تالة، الجزائر، 2007.
27. وثيقة مؤرخة في 6 مارس 1582م، تحت حكم رقم: 293، 292، سلسلة الدفاتر المهمة، مهمة دفترتي.
28. الوثيقة رقم: 279 - 278، المؤرخة ما بين سنوات 1170هـ/ 1762م حتى 1185هـ/ 1777م، الدفتر الجبائي رقم: 2144، الأرشفة الوطني التونسي.

- 29_ الوثيقة رقم: 280، المؤرخة ما بين سنوات 1186هـ/1778م حتى 1191هـ/1783م، الدفتر الجبائي رقم: 2144، الأرشيف الوطني التونسي.
- 30_ الوثيقة رقم 08، المجموعة: 2316، السنة: 1217هـ/1802م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.
- 31_ الوثيقة رقم 38، المجموعة: 2316، السنة: 1225هـ/1810م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.
- 32_ مجموعة من الأساندة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة للكتاب، الجزائر، 2014.
- 33_ مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروسة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 34_ مجموعة علماء مدينة تلمسان المحروسة، مخطوط: متن العقائد، أو الحاشية المسماة بكتاب الدرر الفائق في جمع الحقائق والله تعالى أعلم، مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم مجاميع العلوم، يحمل رقم: 47494، عدد الأوراق: 16.
- 35_ مخطوط رقم: 23145، حاشية الرماصي على السنوسية، وقف السيد أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حجر التلمساني (كان حيًا سنة: 1164هـ/1756م)، رواق المغاربة.
- 36_ محرز (أمين)، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011.
- 37_ المزاري (ابن عودة)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: بوعزيز يحيى، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 38_ المكناسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المسطاطي ت: 1199هـ/1799م)، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبره الحبيب، تقديم وتحقيق: بوكبوط محمد، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2003.
- 1_ Albert (D), *Tachrifat Recueil De Notes Historiques Sur L'administration De L'ancienne Régence D'alger*, Imprimerie Du Gouvernement, Alger, 1852.
2. Aranda (E), *Relation De La Captivité & Liberté Du Sieur Emanuel D'Aranda, Jadis Esclave à Alger Ou Se Trouvent Plusieurs Particularités De L'Afrique, Dignes De Remarque*, 3^{ème} édition, Augmentee De Treize Relations, & Autres Trailles Douce, Par Le Mesme Auteur, Jean Mommart, Bruxelles, 1662.
3. Barges (Labbe), *Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom*, Souvenir Dun Voyage, Challamel Aine Libaire, Paris, 1859.
4. Le commandant de pimodan, *Oran tlemcen sud oranais (1899 , 1900)*, Honoré champion libraire, paris, 1903.
3. Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), *Algerie états Tripolitains*, Firmin Didot Frères éditeurs, Paris, 1850.
4. Cour (A), *L'établissement Des Dynasties Des Chérifs Du Maroc Et Leur Rivalité Avec Les Turcs De La Régence D'Alger 1509 1830*, Ernest Leroux, Paris, 1904.
5. Documents Inédits Sur L'histoire De L'occupation Espagnole En Afrique (1506-1574), Publiés Par Ordre De M. Le Maréchal De Mac-Mahon, Duc De Magenta, Gouverneur Général De L'algérie, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1875.
6. De Tassy (L), *Histoire Du Royaume d'Alger*, Chez Henri Du Sauzet , Amsterdam, 1725.
7. Edmond (P), *Annales Algériennes, Contenant le Résumé de l'Histoire de l'Algérie de 1848 à 1854, et divers Mémoires et Documents*, T2, Chez Camoni Libraire, Marseille, 1854.
8. Esterhazy (W), *Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger*, Librairie De Charles Gosselin, Paris, 1840.
9. Haedo (Fray Diego):
- **Topographie Et histoire Générale D'alger**, Imprimé A Valladolid En 1612, Traduit De

14. Snouci Meberbeche (F), "Tlemcen Under The Ottoman Empire: Influence And Development", Revue Mediterranean Through Pensée Méditerranéenne, Revue Des Recherches Et Les Etudes Sur Le Dialogue Des Religions Et Des Civilisations ,N° 08, 2014.

15. Updike (U), *The Algérien Captive Or The Life And Adventures Of Doctor Updike Underhill Six Years A Prisoner Among The Algerienes*, Printed By Peter B. Gleason And Go, Hartford, 1812.

16. *Voyage Dans Les Etats Barbaresques De Maroc Alger Tunis et Tripoly Ou Lettres Dun Des Captifs Qui Viennent D'être Rachetés Par Mm Les Chanoines Réguliers De La Sainte Trinité*, Libaire de monsieur, Paris, 1785.

L'espagnol Par: Mm. Le Dr. Monnereau Et A. Berbrugger, 1870.

- **Histoire Des Rois D'Alger**, Traduite Et Annotée Par: H . D . De Grammont, Libraire Adolphe Jourdan, 1881.

10. Henri Delmas (D)

- **Histoire D'Alger Sous La Domination Turque 1515-1830** , éditeur Ernest Leroux, 1887.
- "L'expédition D'a. Martinez De Angola Contre Tlemcen", Revue Africaine, N° 36, 1892.

12. Louis (R), *La royaume d'Alger sous le dernier Dey*, Revue Africaine, OPU ,N° 41, 1897.

13- Mercier (E), *Histoire De L'Afrique Septentrionale (Berberie)*, T3, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868.

الهوامش:

(1) إن الأتراك العثمانيين هم من أطلق تسمية "الجزائر" على المدينة الصغيرة المقابلة لمجموعة من الجزر على البحر المتوسط، ومنذ ذلك الحين أصبحت تسمية "الجزائر" تطلق على كامل منطقة المغرب الأوسط. ينظر:

Voyage Dans Les Etats Barbaresques De Maroc Alger Tunis et Tripoly Ou Lettres Dun Des Captifs Qui Viennent D'être Rachetés Par Mm Les Chanoines Réguliers De La Sainte Trinité, Libaire de monsieur, Paris, 1785, P: 93.

(2) مخطوط رقم: 23145، حاشية الرماصي على السنوسية، وقف السيد أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حجر التلمساني (كان حيًا سنة: 1164هـ/1756م)، رواق المغاربة.

(3) Updike (U), *The Algérien Captive Or The Life And Adventures Of Doctor Updike Underhill Six Years A Prisoner Among The Algerienes*, Printed By Peter B. Gleason And Go, Hartford, 1812, P: 164.

(4) عزي بوخالفة، شواهد الإحسان على مآثر المحروسة تلمسان، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص: 24.

(5) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ/1631م)، *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*، (ج2)، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1980، ص: 229.

(6) مجموعة علماء مدينة تلمسان المحروسة، مخطوط: متن العقائد، أو الحاشية المسماة بكتاب الدرر الفايق في جمع الحقائق والله تعالى أعلم، مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم مجاميع العلوم، يحمل رقم: 47494، عدد الأوراق: 16.

(7) الوثيقة رقم 08، المجموعة: 2316، السنة: 1217هـ/1802م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.

(8) أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم التلمساني (كان حيا سنة: 1066هـ/1656م). مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: 4601، الورقة/ 119.

(9) Emanuel (A), **Relation De La Captivité & Liberté Du Sieur Emanuel D'Aranda, Jadis Esclave à Alger Ou Se Trouvent Plusieurs Particularités De L'Afrique, Dignes De Remarque**, 3^{eme} édition, Augmentee De Treize Relations, & Autres Trailles Douce, Par Le Mesme Autheur, Jean Mommart, Bruxelles, 1662, P: 63.

(10) **الحدثان:** هو علم ينظر في التنبآت الخاصة بأعمال الملوك وأخبار الدول في مدة بقائها وملوكها وأسمائهم وحروبهم، وقد ولع به الملوك كثيرا لهذا انصرفت إليه العناية في التقييد ونقل أخباره. ينظر: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: 808هـ/1403م)، المقدمة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، 2007، ص: 330.

(11) أبو الربيع سليمان الحوات (ت: 1233هـ/1817م)، مخطوط: البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، مكتبة الطالب بالرباط، يحمل رمز: MS ARAB 433، (غير مصنف)، الورقة: 95/.

(12) نفسه، ص: 492.

(13) أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزباني (ت: 1249هـ/1836)، **البستان الطريف**، في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق: الزاوية رشيد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. المغرب، 1992، ص: 125.

(14) ابن الصائم، مصدر سابق، الورقة/ أ: 119.

(15) عيسى ذيب، مدينة تلمسان كمركز من المراكز الحضارية، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، (د.ت)، ص: 10.

(16) Snouci Meberbeche (F), **"Tlemcen Under The Ottoman Empire: Influence And Development"**, *Revue Mediterranee Through Pensée Méditerranéenne*, Revue Des Recherches Et Les Etudes Sur Le Dialogue Des Religions Et Des Civilisations, N° 08, 2014, P: 29.

(17) عبد الحميد بوسماحة، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، منشورات الرياض، 2011، ص: 15.

(18) سعد بوفلاقة، أوراق تلمسانية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2011، ص: 19.

(19) حمدان بن عثمان خوجة (ت: 1255هـ/1840م)، المرأة، تقديم وتعليق وتحقيق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006، ص: 58. 57.

(20) ستيفن جيمس ويلسن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795م - 1796م، ترجمة: علي تابلت، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص: 325.

(21) وليام شالر، مذكرات وليام شالرفنصل أمريكا في الجزائر 1816م - 1824م، تعليق وتقديم: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص: 35.

(22) **Voyage Dans Les Etats Barbaresques, op, cit, P: 94.**

(23) حمدان خوجة، مصدر سابق، ص: 58. 57.

(24) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500. 1830، (ج1)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 39. 40.

(25) نفسه، (ج1)، ص: 40.

(26) عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعليق وتحليل، منشورات سعيدان، سوسة، 2002، ص: 34. 37.

(27) Cour (A), **"L'occupation Marocaine De Tlemcen"**, *Revue Africaine*, Vol 52, 1908, P: 9.

(28) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: زبادة عبد القادر، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص: 165.

(29) أبو عبد الله محمد بن يوسف الزباني التلمساني (كان حيا سنة: 1320هـ/1903م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعدي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص: 228.

(30) في ظل هذه الأوضاع قدم إلى الجزائر سنة 923هـ/1515م، ثلاث إخوة كانوا يمارسون التجارة في البحر الأبيض المتوسط، ينتسبون إلى جزيرة "ميدي" اليونانية، قاموا بمنافسة الإسبان على تلمسان، حيث طلب الملك الزباني أبو حمو الثالث النجدة من الإسبان، لكن النصر كان لبربروسة واخوته، واقتنص قلعة المشور منهم، ودخل مجدداً في معارك مع ملوك المغرب الأقصى، ينظر:

Le commandant de pimodan, **Oran tlemcen sud oranais (1899 , 1900)**, Honoré champion libraire, paris, 1903, P: 9.

⁽³¹⁾ كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 - 1541)، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 36.

⁽³²⁾ عبد الحميد بن أبي زيان ابن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مطبعة الجيش الشعبية، الجزائر، (د.ت)، ص: 117.

⁽³³⁾ دخل عروج إلى تلمسان منتصرا، وسط هتافات حشد من التلمسانيين، الذين استقبلوه وعاملوه بكل رقة واهتمام. وكعادته حسب "ستيفن جيمس ويلسن"، وحال استلائه على المدينة بدأ في الاضطهاد، غير أن رعاياه الجدد سرعان ما أقنعوه أنهم لن يستسلموا مثل مواطني مدينة الجزائر، فوجد اعتراض كبير لإدارته في تلمسان، وقلق حذر لحكم السلطان الزياني نتيجة عمله الشائن في مدينة الجزائر، فقام عروج باحتياطات عسكرية أولها حماية الجنود الأتراك وإرسال صديقه القرصان المدعو "اسكندر" للقضاء على الثورات التي نشبت في تلمسان بسبب رفضهم لعروج، حيث عقدوا اجتماعات متكررة لطردهم عروج، لأنهم تأسفوا كثيرا على توددهم في طلب المساعدة منه. ينظر: ستيفن جيمس ويلسن، مرجع سابق، ص: 23.

⁽³⁴⁾ مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروسة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 92.

⁽³⁵⁾ Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), **Algerie états Tripolitains**, Firmin Didot Frères éditeurs, Paris, 1850, P: 80.

⁽³⁶⁾ تشير البحوث والدراسات المتعمقة في الصراع الإسباني العثماني حول مدينة تلمسان خلال القرن العاشر عشر الهجري/السادس عشر الميلادي، إلى الكثير من الشخصيات الإسبانية العسكرية التي نظمت حملات غزو على هذه المدينة وسعت لعقد التحالفات مع الكثير من الأطراف السياسية التي كانت تطمح في الاستلاء على تلمسان. ينظر:

Henri Delmas (D), "L'expédition D'a. Martinez De Angula Contre Tlemcen", Revue Africaine, N° 36, 1892, P: 140.

⁽³⁷⁾ مجهول، مصدر سابق، ص: 62 – 63.

⁽³⁸⁾ Henri Delmas (D.G), **Histoire D'Alger Sous La Domination Turque 15151830** -, éditeur Ernest Leroux, 1887, P: 28.

⁽³⁹⁾ مجهول، مصدر سابق، ص: 73.

⁽⁴⁰⁾ نفسه، ص: 92.

⁽⁴¹⁾ نفسه، ص: 92.

⁽⁴²⁾ **Documents Inédits Sur L'histoire De L'occupation Espagnole En Afrique (1506-1574)**, Publiés Par Ordre De M. Le Maréchal De Mac-Mahon, Duc De Magenta, Gouverneur Général De L'algerie, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1875, P: 224.

⁽⁴³⁾ (?), **Le R'azaouat est-Il L'œuvre De Kheir-Ed-Din Barberousse**, Imprimerie De X. Duteis, Rue Galaup. Tiré A Cent Exemplaires, P: 224.

⁽⁴⁴⁾ Le commandant de pimodan, **op, cit**, P: 49.

⁽⁴⁵⁾ **صالح رايس (ت: 963هـ/1556م)**: الملقب بأمير البحر، وباي لارباي آيالة الجزائر، أجمع المؤرخون على أن أصل صالح ريس هو عربي من الإسكندرية، تعرف إلى الأتراك حين قدومهم إلى مصر، ورافق عروج و خير الدين بربروسة في رحلاتهم، تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة، من أهم أعماله مساهمته في انقاد بقايا المسلمين في الأندلس، فمنح لقب "بكلربك" أو "باي لارباي" أي أمير الأمراء، وهو لقب يخول لصاحبه أن يُصدر الأوامر إلى باشا تونس وطرابلس والجزائر، لتولى منصب حاكم الجزائر في عام 959هـ/1552م، فأتم فتح بجاية عام 962هـ/1555م، من الإسبان، وقضى على التمردات في المغرب الأقصى ودخل فاس في عام 961هـ/1554م. توفي صالح رايس مصاباً بالطاعون، وقد ناهز السبعين عاما في سنة 963هـ/1556م. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (ج3)، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص: 89. 73.

⁽⁴⁶⁾ Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), **op, cit**, P: 234.

⁽⁴⁷⁾ **بابلك الغرب**: من البابليكات الثلاثة بإيالة الجزائر، وكان أكبرها مساحة. وفيه كان التطور الأول لنموذج البابلك مع مؤسسه "بن خديجة" الذي استلم في سنة 971هـ/1563م، قيادة هذا الإقليم. ينظر: محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني، ترجمة: محمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2016، ص: 175.

⁽⁴⁸⁾ ستيفن جيمس ويلسن، مصدر سابق، ص: 142.

- (49) علي العبيدي، وآخرون، **الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي – دراسات تاريخية –**، النشر الجامعي الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، تلمسان، (د.ت)، ص: 168.
- (50) أبو العباس أحمد سيدي محمود الشريف الزهّار (ت: 1289هـ/1872م)، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار 1168هـ – 1246م/1754م – 1830م**، تقديم: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 33.
- (51) Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), **op, cit**, P: 202.
- (52) Le commandant de pimodan, **op, cit**, P: 51.
- (53) Barges(L), **Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage, Challamel Aine Libaire, Paris, 1859**, P: 250.
- (54) Edmond (P), **Annales Algériennes, Contenant le Résumé de l'Histoire de l'Algérie de 1848 à 1854, et divers Mémoires et Documents**, T2, Chez Camoni Libraire, Marseille, 1854, P: 4.
- (55) Fray Diego (H), **Topographie Et histoire Générale D'alger**, Imprimé A Valladolid En 1612, Traduit De L'espagnol Par: Mm. Le Dr. Monnereau Et A. Berbrugger, 1870, P: 51.
- (56) كمال بن صحرأوي، **«التنظيم الإداري والعسكري ببايلك الغرب الجزائري»**، مجلة العبر، دورية علمية دولية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد 01، 2018، ص: 145.
- (57) Esterhazy (W), **Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger**, Librairie De Charles Gosselin, Paris, 1840, P: 172.
- (58) ابن عودة المزارعي، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة: بوعزيز يحيى، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 145.
- (59) محفوظ سماتي، **الأمة الجزائرية: نشأتها وتطورها**، ترجمة: محمد الصغير بناني وآخرون، منشورات دار حلب، سوريا، 2007، ص: 64.
- (60) نفسه، ص: 106.
- (61) الشريف الزهّار، **مصدر سابق**، ص: 248.
- (62) De Tassy (L), **Histoire Du Royaume d'Alger**, Chez Henri Du Sauzet , Amsterdam, 1725, P: 127.
- (63) بوعبد الله بلجوزي، **«المنشآت المعمارية للباي مصطفى بوشلاغم ببايلك الغرب الجزائري»**، مجلة آثار، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات والأبحاث في الآثار، العدد 15، 2018، ص: 177.
- (64) الوثيقة رقم 38، المجموعة: 2316، السنة: 1225هـ/1810م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.
- (65) الوثيقة رقم: 279 – 278، المؤرخة ما بين سنوات 1170هـ/1762م حتى 1185هـ/1777م، الدفتر الجبائي رقم: 2144، الأرشيف الوطني التونسي.
- (66) وثيقة مؤرخة في 6 مارس 1582م، تحت حكم رقم: 292, 293، سلسلة الدفاتر المهمة، مهمة دفتري.
- (67) **النوبة**: كانت النوبة مخصصة لحراسة المدن وبعض المراكز الحضرية والأرياف، ولا تغادر بأي حال من الأحوال مواقعها، أما أفرادها فيتم تغييرهم كل سنة في بداية الربيع، وتتكون النوبة من **«الصفرات»**، وهي **«الصفرة»** أي المائدة التي يجتمع عليها الجند الإنكشارية، وفي زمن الباي حسين كانت في بايلك الغرب أربعة نوبات: عشرة صفرات في وهران، وخمسة في كل من تلمسان، معسكر، ومستغانم، وهو ما يساوي 575 رجلاً من مجموع 1978 رجلاً موزعين على كامل الإيالة. ينظر: Esterhazy, (W), **De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Paris, 1840, P: 237-238.
- (68) عزيز سامح إلتز، **مرجع سابق**، ص: 250.
- (69) أمين محرز، **الجزائر في عهد الآغوات (1659 – 1671)**، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011، ص: 44.
- (70) عزيز سامح إلتز، **مرجع سابق**، ص: 265.
- (71) Fray Diego (H), **Histoire Des Rois D'Alger**, Traduite Et Annotée Par: H – D – De Grammont, Libraire Adolphe Jourdan, 1881, P: 104105 –.
- (72) إبراهيم شحاتة حسن، **أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510 – 1947)**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981، ص: 386 – 390.
- (73) عزيز سامح إلتز، **مرجع سابق**، ص: 384.
- (74) Cour (A), **L'établissement Des Dynasties Des Chérifs Du Maroc Et Leur Rivalité Avec Les Turcs De La Régence D'Alger 1509 1830**, Ernest Leroux, Paris, 1904, P: 179.

(75) محمد بومدين، "رؤية تاريخية في أبعاد الامتداد الدلالي وتجلياته في تلمسان العثمانية خلال القرنين 11هـ/17م و12هـ/18م"، المجلة التاريخية المغربية، مجلة دولية تصدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، السنة الثامنة والأربعون، العدد 181، أفريل/نيسان 2021، ص: 99-132.

(76) ناصر الدين السعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص: 369-375.

(77) باب كشوط: أو "باب كشوطة" من الأبواب المشهورة بتلمسان، تقع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة في الطريق المؤدية إلى المنصورة. وقد تم بناء هذا الباب العتيق في عهد عبد الوادي الأول على يد يغمراسن عام 668هـ/1270م، وحصن المكان غاية التحصين بتشييد منشآت دفاعية علما منه أن العدو كثيرا ما يأتي من المغرب الأقصى. يعود أصل هذه التسمية حسب قول بعض السكان إلى أن الكلمة فرنسية، تعربت عبر الزمن في اللهجة المحلية إلى "باب القشوط"، جاءت بصفة الجمع بمعنى "باب الأكشاك" جمع "كشك" من الكلمة الفرنسية: "Kouchout.Kouchouta". و"كشوت" (La porte du kiosque) عربية لنبات طفيلي يتعلق بأغصان الشجر. ينظر: جورج مارسيس، وليم مارسيس، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة: مراد بلعيد، بورويبة علي محمد، عبد مزيا فلة، دار الأصال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص: 77.

(78) Albert (D), Tachrifat Recueil De Notes Historiques Sur L'administration De L'ancienne Régence D'alger, Imprimerie Du Gouvernement, Alger, 1852, P: 8

(79) ibid, P: 12.

(80) سبدو: ظهرت تسمية سبدو في عهد الإستعمار الفرنسي "sehb2 / 2 سهب"، كما كانوا يطلقون عليها أيضا تسمية ترتي2، وهذه الأخيرة حاليا هي "تل ترتني"، ثم صارت الكلمة من "sehb2" إلى "سبدو"، وذلك على ما يبدو أن الفرنسيين في حد ذاتهم لا يقرأون حرف "H"، ويسقطونه نطقا لا كتابة، ولأنه ربما بعد مجيء المثقفين أو المتعلمين بعد الإستعمار في المدينة خاصة في الإدارات المحلية تحولت الكلمة عندهم من "sehb deux"، في كتابتها بالفرنسية إلى "sebdou"، وفي حال كتابتها بالعربية يكتبونها "سبدو". ينظر بالتفصيل: صبرينة نعيمة دحماني، الأثار الإسلامية العسكرية بمدينة تلمسان، إحصاء وجرّد وتحليل، (دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية)، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص: 55.

(81) نفسه، ص: 55.

(82) Louis (R), La royaume d'Alger sous le dernier Dey, Revue Africaine, OPU, N° 41, 1897, P.133

(83) صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص: 55.

(84) نفسه، ص: 55.

(85) إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق، ص: 360 – 390.

(86) Mercier (E), Histoire De L'Afrique Septentrionale (Berberie), T3, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868, P: 243.

(87) أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المسطاطي (ت: 1199هـ/1799م)، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبوره الحبيب، تقديم وتحقيق: بوكبوط محمد، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص: 331.

(88) محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 183.

(89) نفسه، ص: 183.

(90) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحة الزجاجي التلمساني الحفيد (كان حيا سنة 1284هـ/1867م)، مخطوط: إتمام الوطري التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية ببائيس، يحمل رقم: R.D9307، الورقة: 43/أ.